

## هل يقف الإقليم على عتبة «نقطة تحوّل»؟



18 أكتوبر 2018 - 06:18

عريب الرنتاوي

باءت جهود أكثر من ثلاث سنوات من العمل السياسي والدبلوماسي لوقف الحرب في اليمن وعليه، بالفشل المتكرر... تفاقمت الكارثة الإنسانية، وباتت غير مسبوقه وفقاً لتقارير الأمم المتحدة... تعاقب الموفدون الدوليون من دون جدوى... وتقلت موائد الحوار والمشاورات بين عواصم عدة، من دون نتيجة... اليوم، تهب رياح جديدة، بخفة حتى الآن، ولكنها مشبعة بعناصر التفاوض بفرص الحل وإمكاناته.

أما الأزمة الخليجية فلم يكن حالها أفضل... وساطات كويتية وأميركية راوحت مكانها... مشاريع قمم في كامب ديفيد وواشنطن لم يكتب لها أن ترى النور... الأطراف ما زالت موافقها، بل وتزلق في أتون حروب إعلامية ودبلوماسية ومعارك «علاقات عامة» مكلفة لتحسين صورة هذا الفريق، و«تقبيح» صور خصومه... لا تقدم حتى الآن، مع تبشير انفراجة تلوح في الأفق كذلك.

تلحم بعض من تداعيات أحداث الأسبوعين الأخيرين في إسطنبول، والحبل على الجرار... ما بات يُعرف باسم ملف اختفاء الخاشقجي، تحوّل إلى عامل تغيير لقواعد الاشتباك وديناميكيات بعض الأزمات، في منطقة لا ثابت فيها سوى التغيير... تنام على مشهد وتصحو على غيره... في منطقة، يصعب سبر أغوارها بالعقل وأدواته والمنطق وحكمته... كل شيء عرضة للتغيير السريع وكل شيء قد يحدث في لمحة بصر.

اليمن، أو الحرب المنسية، عادت لاحتلال مكانة متزايدة من اهتمام الإعلام الدولي ومراكز صنع القرار، وبات الحديث فيها وعنّها، يندرج في سياق «التسوية الشاملة» التي يجري التداول بعناصرها... لا شك أن مارتن غريفيت، يتابع عن كثب كافة مجريات ووقائع الأسبوعين الأخيرين، ويرصد بعين الخبير كيف يمكن أن تتعكس على مهمته، وما الذي يمكن أن تولده من مستجدات في مواقف الأطراف الفاعلة وتحالفاتها وأولوياتها... لا شك أنه يشعر بأنه معني بالقول: «مصائب قوم عند قوم فوائد» أكثر من غيره.

لا يعني ذلك أن الحرب ستضع أوزارها غداً، وأن المعاناة الإنسانية ستُرفع عن كاهل أطفال اليمن ونسائه وشيوخه بين عشية وضحاها، أو أن زمن المعارك الكبرى قد ولى... لكن السلام في اليمن، قد يمتلك فرصة جدية لأول مرة، ناجمة بالأساس عن انسداد أفق هذه الحرب، وتعاضم كلفها، وحالة الإرهاق التي أصابت أطرافها، واحتمال بروز ميل متزايد لدى بعض الأطراف المقررة، للتسويات والحلول الوسط، بعد أن بات وضعها عصياً على الاحتمال.

والأزمة الخليجية بدورها، تبدو كعرض جانبي، سيزول بزوال المرض الرئيسي... الفتور التركي - الخليجي الذي بلغ حداً غير مسبوق في العامين الفائتين في طريقه إلى الزوال، وربما تشهد على انفجاعة كبيرة في مستوى وسوية العلاقات بين هذه الأطراف... وقد تلعب تركيا دور الوسيط، أقله مع ثلاث من دول الرباعي العربي الذي يحاصر

قطر ويعزلها ... واشنطن ستجدها ساحة لاستئناف جهود المصالحة، وكذا الكويت، «راعية الأولى» في الجهود الرامية لرأب الصدع الخليجي ... الأزمة قد لا تنتهي فوراً وبالكامل، ولكنها في طريقها للحلحلة كذلك.

لا ندري كيف ستتعرض تطورات الأسبوعين الأخيرين على بقية أزمات المنطقة، لكننا نعرف أن كثرة من اللبنانيين تفاعلوا بقرب تشكيل حكومتهم الجديدة ... والعراق بات أكثر تخففاً من ثقل «العامل الإقليمي» مع أن إيران ما زالت لاعباً إقليمياً رئيساً على أرضه في مواجهة اللاعب الدولي الرئيس: واشنطن ... الشيء غير المؤكد بعد، هو قياس أثر هذا التطورات على «صفقة القرن» ومشروع «الناطو العربي» الذي دشن في واشنطن على هامش اجتماعات الجمعية العامة... هنا، وهنا بالذات، قد يأتي التغيير في الاتجاه المعاكس.

حراك إقليمي، أبعد من إسطنبول وأكبر من واقعتها التي شغلت الرأي العام، وعلى المراقبين أن يستنفروا أدواتهم المعرفية، لقياس اتجاهات هبوب الريح في المرحلة المقبلة.